

شبيبة التلال بين سردية "الطليعة التحررية" واستحقاق "إصلاح الجيش"

ياسر مناع
جامعة بيرزيت، فلسطين

تنطلق هذه الإضاءة من نقد المقاربات التي تصف "شبيبة التلال" بوصفها مجموعات عنف هامشية على أطراف المشروع الاستيطاني. وتقترح مقارنة تحليلية تنظر إلى هذه الجماعات بوصفها فاعلاً أيديولوجياً يعمل من داخل المشروع ذاته، فيما تفترض أنّ شبيبة التلال ترى نفسها طليعة يهودية تحررية تسعى إلى إعادة تعريف المشروع الصهيوني وفق مرجعية قومية دينية تستند إلى فكرة الوعد الإلهي ووجوب بسط السيادة اليهودية الكاملة على الأرض. تعتمد هذه الإضاءة على تحليل مادة متنوّعة تشمل وثائق داخلية صادرة عن ناشطي شبيبة التلال، ومواقف وخطابات حاخامية، بالإضافة إلى قراءة لأحداث ميدانية شهدتها الضفة الغربية خلال السنوات الأخيرة. يتيح هذا المسار تحليل البنية الفكرية التي تؤطر ممارسات هذه الجماعات وطريقة فهمها للعلاقة مع الدولة الاستعمارية ومؤسّساتها. تُظهر الإضاءة أنّ المواجهات بين شبيبة التلال والجيش أو الشرطة لا تعبّر عن تمرد بقدر ما تعكس صراعاً داخلياً في المشروع الاستيطاني حول حدود الشرعية ووسائل استخدام العنف لتحقيق السيطرة على الأرض. كما وتكشف أنّ استمرار الظاهرة يرتبط بتداخل بنيوي بين العنف الميليشياتي والعنف المؤسّسي، الأمر الذي يمنح هذه الجماعات هامش حركة ويسهم في تحويل العنف إلى أداة لإعادة تشكيل المجال الجغرافي ودفع المجتمع الفلسطيني نحو الإزاحة التدريجية. لا تستعرض هذه الإضاءة ظاهرة شبيبة التلال تاريخياً ولا تعيد تعريفها، تجنّباً للتكرار، إذ إنّ هذا الجانب قد عولج مسبقاً من قبل الكثير.

"في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 2025، تداولت منصات التواصل الاجتماعي مقطعاً مصوّراً يُظهر مستوطناً مسلحاً على متن مركبة رباعية الدفع (تراكتور) وهو يدهس شاباً فلسطينياً أثناء أدائه الصلاة على ناصية الطريق. ولاحقاً تبين أنّ الشخص الظاهر في المقطع هو جندي في قوات الاحتياط في الجيش "الإسرائيلي".

توطئة وتأطير

تنطلق هذه المساهمة حول شبّية/ فتية التلال¹ من نقدٍ صريحٍ للوصف الخارجي والسطحي للظاهرة، بما في ذلك التمثّلات الفلسطينية التي تعاملت معها بوصفها عنفاً منفلتاً أو أداة بيد الدولة الاستعمارية. ولكننا نفترض أنّ هذا الوصف يحجب منطق الفاعلين أنفسهم ويحول دون فهم شروط إنتاج خطابهم وممارساتهم. ولذا، فقد نحونا منهجياً إلى اختيار مدخل تحليلي ينفذ إلى الظاهرة من الداخل ويستند إلى فرضيتين مترابطتين. أمّا الفرضية الأولى، فهي أنّ شبّية التلال لا ترى نفسها حركة خارجة على بنية الدولة الاستعمارية "الإسرائيلية" ولا مناقضة للصهيونية أيضاً، وإنّما تنظر إلى ذاتها كطليعة يهودية تعمل من داخل المشروع الصهيوني لإعادة تعريفه من منطلقات قومية - دينية في المقام الأول. فهذه الجماعات تنطلق من شرعية توراتية قائمة على فكرة الوعد الإلهي وبناء مملكة "إسرائيل"، وتتعامل مع الدولة الحديثة ومؤسّساتها بما في ذلك مؤسّسة الجيش على اعتبارها عائقاً مرحلياً أمام تحقيق الخلاص. ولذلك، لا تُفسّر صدامها مع الجيش أو الشرطة كخيانة، بل كصراع داخلي على الوسائل التي تحقّق الغاية وحدودها ومصدر شرعيّتها. وأمّا الفرضية الثانية، فهي أنّ استمرار ظاهرة شبّية التلال لا ينتج عن غياب الدولة الاستعمارية أو ضعفها، وإنّما عن تداخل بنيوي بين عنف هذه الجماعات والعنف المؤسّسي الرسمي الذي تمارسه الدولة الاستعمارية ذاتها. يمنح هذا التداخل شبّية التلال هامش حركة وشعوراً بالحصانة ويحوّل اعتداءاتها على الفلسطينيين إلى أداة ضغط مقصودة على المؤسّسة الرسمية "الإسرائيلية". في هذا السياق، يعمل العنف بالوكالة والعنف الرسمي ضمن آلية ضغط مزدوجة تسرّع تفكيك المجال المعيشي الفلسطيني وتنبّث الواقع الاستيطاني كأمر واقع.

يساعد مدخل "الهلع الاستعماري الدائم" على فهم هذا التداخل بوصفه تعبيراً عن أزمة بنيوية في المشروع الاستيطاني الصهيوني ناتجة عن عجزه عن التحوّل إلى دولة حديثة مستقرّة قادرة على إعادة تنظيم علاقتها بالأيديولوجيا المؤسّسة. في هذا السياق، يظهر العنف المليشياي كبنية متكرّرة تعود كلّما فشل النظام الاستعماري في احتواء تناقضاته. وبهذا المعنى، تمثّل شبّية التلال أيضاً تعبيراً عن صراع أجيال داخل المجتمع الصهيوني ضمن سياق تاريخي طويل لدور الحركات الشبابية في إعادة إنتاج المشروع الصهيوني في لحظات أزمته على اعتبارها أحد أكثر أشكاله راديكالية. من هنا يحمل التيار الديني-القومي شعوراً متراكماً بأنّه لم يؤدّ دوراً فاعلاً في إقامة الدولة في مرحلتها التأسيسية بالتوازي مع التيار العمالي-العلماني، ولذلك فإنّه يسعى اليوم إلى أخذ زمام المبادرة والعمل والفعل في ظلّ تراجع دور التيار العلماني ومحاولة السيطرة على رأس الهرم داخل بنية المشروع الصهيوني ومؤسّساته.

شبّية التلال: استيطان قمم الجبال

منذ سنوات تتصدّر ظاهرة شبّية التلال المشهد الاستيطاني في الضفة الغربية، ويعيد بعض الباحثين جذور الظاهرة إلى إرث تاريخي من التنظيمات اليهودية السريّة المسلّحة التي نشطت في الضفة الغربية خلال ثمانينيات

القرن الماضي، حين بلغت ذروتها الخلايا اليهودية السريّة التي شكّلها أفراد ذوو خلفية عسكرية وأمنية، معظمهم من الضباط السابقين في جيش الاحتلال "الإسرائيلي".² وهنا، لا بدّ من الإشارة إلى خطاب أريئيل شارون في العام 1998 أمام اللجنة المركزية لحزب الليكود حين دعا المستوطنين الشباب إلى احتلال قمم التلال في الضفة الغربية خوفاً من سيطرة الفلسطينيين عليها. قائلاً: "اركضوا واحتلّوا التلال... ضعوا أيديكم على أكبر عدد ممكن منها، فكلّ ما نحتلّه سيكون لنا، وما لا نحتلّه سيكون للفلسطينيين."³ وقد دفعت هذه الدعوة العشرات من المستوطنين إلى الاستجابة، فشرعوا بإقامة خيام وأكواخ ومساكن متنقّلة على قمم التلال في مناطق تقع خارج نطاق المستوطنات الرسمية. ومع مرور الوقت، تحوّلت تلك المبادرات المحدودة إلى نمط استيطاني مواز للنمط المتّبع من قبل مؤسسة الدولة الاستعمارية الرسمية، يمزج بين الطابع الديني والرسالة السياسية القائمة على خلق أمرٍ واقعٍ جديدٍ تدريجياً.

اليوم، تتراوح النواة الصلبة لشبيبة التلال بين 300-500 مستوطن، إلى جانب ما يمكن تسميته "دائرة الأصدقاء"، وهم مناصرون ومتعاطفون لا يشاركون بصورة يومية منتظمة في أنشطتهم، ويُقدّر عددهم ببضعة آلاف. وتعمل هذه الجماعات بإصرار على إقامة بؤر استيطانية جديدة فوق تلال الضفة الغربية، معتمدةً أساليب تقوم على إنشاء معسكرات سكنية سريعة، وأحياناً خلال أقل من ثماني ساعات.⁴ كما برزت في السنوات الأخيرة ظاهرة "فتيات التلال" أو "بنات دانيالا"، نسبة إلى دانيلا فايس،⁵ اللواتي يشاركن في النشاط الاستيطاني ضمن أدوارٍ ميدانية استيطانية مع الالتزام بالفصل بين الجنسين. وبالتوازي مع ذلك، ينفّذون عمليات اقتلاع الأشجار وتجريف الأراضي وإجبار الفلسطينيين على الرحيل تحت تهديد السلاح تحت شعار "تدفيع الثمن"، الأمر الذي تحوّل إلى أداة ردع وانتقام ضدّ كل من يروونه تهديداً لمشروعهم. ومن أشجع جرائم هذه الجماعات ما وقع في قرية دوما في سنة 2015، حين أقدم عدد من شبيبة التلال على إحراق منزل عائلة دوابشة جنوبي نابلس، ما أدّى إلى استشهاد ثلاثة من أفراد الأسرة، بينهم رضيع لم يتجاوز عامه الأول.

اجتماعياً، ينحدر قسم من شبيبة التلال من عائلات مستوطنة أو متدينة، بينما ينتمي آخرون إلى فئة شبان مهمّشين، وفق تصنيف الحكومة "الإسرائيلية"، وجدوا في التلال فضاءً للتحرُّر من القيود الاجتماعية والتعليمية، وفي الوقت نفسه ساحةً لتحقيق رسالة مقدسة.

في هذا السياق، يحاول أستاذ علم الاجتماع في جامعة "بار إيلان" البروفيسور أرييه إلداد تحليل الطابع الاجتماعي لفتية التلال معتبراً أنّ الغالبية الساحقة من هؤلاء الشبان هم قاصرون يعيشون خارج الأطر الأسرية والتربوية ويعانون من تهميش اجتماعي وانقطاع عن مؤسسات الدولة وأنّ معظمهم لا ينحدر من مستوطنات الضفة الغربية بل من المدن المحتلة سنة 1948، وقد انجذبوا إلى الهامشية والعنف في غياب دعم مؤسساتي.⁶

إنّ هذه الديناميكية تدفعنا إلى تجاوز الوصف الخارجي للظاهرة، والنزول إلى أعماقها لفهم جذورها ودوافعها من

الداخل. وهذا التفاعل المعقّد يحتمّ علينا تجاوز القراءات السطحية والغوص في بناها الفكرية والنفسية لفهم جذورها وبواعثها من منظور داخلي. وتنطلق هذه المساهمة من مجادلة فرضيتين جوهريتين: أما الفرضية الأولى، فهي أنّ شبيبة التلال لا يُدركون أنفسهم كمتمرّدين على الدولة أو خارجين على شرعيتها، بل كحركة تحرّر يهودية ترى في وجودها تجسيدا لمشينة إلهية في الأرض المقدّسة، وتعتبر كلّ من يعيق هذا المشروع، حتى لو كان جيش الدولة أو مؤسّساتها الرسمية، عقبة يجب إزالتها. وبالتالي، لا يُنظر إلى مواجهتهم لجيش الاحتلال "الإسرائيلي"، خاصة حين يسعى إلى إخلاء بؤر استيطانية أو وقف اعتداءاتهم، على أنّها خيانة بل عقبة يجب تجاوزها. ومن أبرز مظاهر ذلك حادثة اقتحام قاعدة عسكرية في مستوطنة "بيت إيل" قرب رام الله في 7 أيلول/ سبتمبر 2011 حين أقدم عدد من عناصر شبيبة التلال على اقتحام القاعدة وتدمير ثلاث عشرة آلية عسكرية داخلها.⁷ وتكرّرت أنماط مشابهة لاحقا، إذ سجّل في العام 2025 إحراق مكتب يضمّ أجهزة حاسوب ذات طابع أمني في المستوطنة نفسها. وأما الفرضية الثانية، فهي أنّ ثمة تيارات داخل جيش الاحتلال "الإسرائيلي" نفسه تُسهم في تيسير استمرار هذه الظاهرة، سواء عبر مستويات تتقاطع مع جزء من رؤيتهم الأيديولوجية أو تتبنّاها كلياً. ويترتب على ذلك منح هذه المجموعات شعوراً متزايداً بالحصانة والمشروعية بما يخفف القيود عليها ويُيسّر تنفيذ اعتداءاتها.

ومما ينبغي التنبيه إليه أنّ تدخل جيش الاحتلال "الإسرائيلي" أحيانا لوقف اعتداءات المستوطنين على الفلسطينيين يكون بدافع اعتبارات أمنية وسياسية وسيادية أكثر من كونها أخلاقية أو إنسانية، إذ تخشى المؤسسة العسكرية أن تؤدّي هذه الأفعال إلى ردّ فلسطيني يوسّع دائرة المواجهة. كما في ذلك محاولة للحدّ من الانتقادات الدولية وإظهار "إسرائيل" نفسها بمظهر "الدولة القانونية" التي تُحاسب المخالفين، ولو بصورة انتقائية، حفاظاً على شرعيتها. وفي مستوى أعمق، يرتبط التدخّل بهاجس فقدان السيطرة على هذه المجموعات وتمدّد نموذج العنف إلى داخل المجتمع "الإسرائيلي" ذاته فضلاً عن الخشية من تقويض احتكار المؤسسة الاستعمارية للعنف.

شبيبة التلال: تكسير القشور وشرعية الملك

يتبنّى شبيبة التلال تصوراً أيديولوجياً يستند إلى بعض مرتكزات الصهيونية الدينية-القومية، ويتغلّد من أطروحات حاخامات بعينهم، منهم يتسحاق غينزبورغ ومائير كهانا، ممّن قدّموا نظريات تتصل بفكرة التفوّق اليهودي وتوسيع مشروعية العنف ضدّ الأغيار. ويتعرّز هذا المنحى عبر نصوص تُضفي على العنف طابعاً شبه قداسي، إذ بحسب ما يرد في كتاب **شرعية الملك** ثمة تبريرات تتجاوز مسألة ردّ الفعل أو شرّ الضحية الفردي لتؤسّس لمنطق الضرورة في قتل الجميع ضمن سياق الانتقام من الأشرار بما يشمل الأطفال والرّضع على أساس أنّ قتلهم يُحقّق الغرض المقصود.⁸ هذا، ويؤمن شبيبة التلال بأنّ لهم حقاً إلهياً مطلقاً في أرض فلسطين التاريخية، ويسعون إلى إقامة ما يسمّونه "مملكة إسرائيل" أو "مملكة داود"، بوصفها تحقيقاً للرؤية التوراتية. ولذلك، يرفضون أيّ تسوية سياسية أو قرارات حكومية تتعارض مع رؤيتهم الدينية كما عارضوا بشدّة خطة فكّ الارتباط عن غزة في العام 2005، إذ رأوا فيها خيانةً للتوراة.

في العام 2015 طرح يتسحاق غينزبورغ فكرة "تكسير قشرة الدولة" بوصفها مشروعاً لتفكيك البنية المؤسسية الرسمية في "إسرائيل"، تمهيداً لقيام "دولة يهودية نقية" تُدار وفق الشريعة الدينية. وفي هذا التصور، تُفهم الدولة العلمانية وأذرعها باعتبارها "قشوراً نجسة"، وفق استعارات مستمدة من التصوف اليهودي، يتعين كسرها وإزاحتها بغية تحرير ما يعبه "جوهر إسرائيل المقدس". وعلى الرغم من إدراج جيش الاحتلال ضمن مؤسسات الدولة، فإن غينزبورغ لا يضعه في خانة "القشور غير القابلة للإصلاح"، بل يتعامل معه بوصفه قشرة قابلة لإعادة الصياغة شرط أن يتخلص من منظومته الأخلاقية التي يراها امتداداً لقيم "وثنية" علمانية. وبهذا المنطق، يصح جيش الاحتلال في نظره أداة مشوهة تعيق إنفاذ الشريعة اليهودية، ما يستدعي "تطهيره" من قيود مفاهيم، مثل "طهارة السلاح" أو "الضبط الأخلاقي".

إنّ هذا الخطاب يعرض تفكيراً منهجياً للمؤسسات الرسمية بوصفها مكونات ملوثة ينبغي كسرها أو إزالتها: فالإعلام متهم بإنتاج وعي علماني مناهض للتوراة، والجهاز القضائي يُقدّم كمحرك لسياسات اختلاط تمحو التمييز اليهودي، بينما تُصوّر الحكومة كوكيل لمصالح أجنبية تعارض، وفق التعبير الذي يعتمده هذا التيار، مع "روح الشعب اليهودي". وعلى الرغم من أن المؤسسة العسكرية لا تُستهدف هنا بالدعوة إلى الإزالة الكلية على نحو مباشر، إلا أنها تُدرج كهدف لإعادة التشكيل والتهديب على قاعدة التوراة وتحت راية الخلاص الموعود. وفي سياق لاحق، يُشار إلى هجوم 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023 بوصفه، في قراءة غينزبورغ، لحظة مفصلية أسهمت في تسريع مشروع تكسير القشرة. وقد ذهب بعض أتباعه إلى تبني خطاب بالغ العنف تجاه الفلسطينيين، مُستندين إلى تبريرات دينية تستحضر الأمر التوراتي: "امحُ ذكر عماليق".

شبيبة التلال: "حركة تحررية"

ينطلق شبيبة التلال في فهمهم ذواتهم ودورهم التاريخي من قناعة راسخة بأنهم يمثلون نواة مشروع تحرري يهودي جديد. وعلى شاكلة حركات التحرر القومية التي قاومت القوى الاستعمارية الأجنبية، يرى شبيبة التلال أنهم يقاومون ما يعتبرونه انحرافاً أصاب المشروع الصهيوني نفسه. ففي تصورهم، أصبحت دولة "إسرائيل" الحالية، بنظامها الديمقراطي وقوانينها الوضعية، عائقاً أمام تحقيق الوعد الإلهي بامتلاك الأرض كاملة وبناء "مملكة إسرائيل" الشرعية. ولذلك، يذهبون إلى أنّ مواجهتها عندما تحاول كبح نشاطهم أو إزالة بؤرهم ليست تمرّداً على الدولة، بل استكمالاً لمهمة الخلاص التي عجزت الدولة عن إتمامها أو تخلّت عنها. وهم يعتبرون أنفسهم أوفياء لـ"جوهر الصهيونية" أكثر من الدولة ذاتها، ويرون أنّ صدامهم مع جنود الجيش أو شرطة الاحتلال هو ثمن لا بدّ منه من أجل إزالة العقبات أمام مشروعهم التحرري.

تنعكس هذه الرؤية بوضوح فيما بات يعرف بـ"وثائق التمرد" التي ينسب وضعها إلى مائير إيتنغر، حفيد الحاخام كاهانا وأحد أبرز رموز شبيبة التلال. تدعو هذه الوثيقة إلى إحداث "ثورة بحجم الثورة الصهيونية" بهدف إعادة صياغة "إسرائيل" جذرياً.⁹ يقول إيتنغر صراحةً إنّ الأسس الفكرية للصهيونية صُممت لدولة مثل باقي الأمم، لا

ل"مملكة إسرائيل". وبناءً على ذلك يُؤكّد أنّ هدم هذا الكيان وبناءه من جديد أرخص بكثير وأسرع من ترميمه. ثم تشرح الوثيقة أنّ المقصود بإسقاط الدولة ليس تدمير الشعب أو البلد، بل تفكيك بنية الحكم الحالية ومؤسّساتها التي تعيق الحصول على الخلاص الحقيقي والكامل، ثم بناء نظام جديد وفق الشريعة اليهودية كما يفهمونها. ولتحقيق ذلك، يدعو إيتنغر وأقرانه إلى العمل خارج قواعد اللعبة المعهودة. فهم يرون أنّه لا حاجة لتنظيم سرّي هرمي على غرار التنظيمات الثورية التقليدية، بل تكفي مجموعات صغيرة منتشرة تثير نقاط الضعف الكامنة في المجتمع والدولة. ويقولون في الوثيقة: "علينا ببساطة إشعال كلّ براميل البارود المخزونة في الدولة، أي تفجير كل التناقضات بين اليهودية والديمقراطية، والدين والدولة، والمستوطنين والقانون، بلا خوف من الفوضى الناتجة. فالهدف هو شلّ قدرة الدولة على الحكم وإجبار الجمهور اليهودي نفسه على الاختيار بين تبني ثورة شبّية التلال ودعم قمعها بالقوة."¹⁰ ويعتقد أصحاب هذا الطرح أنّ الكفّة ستميل نحو نجاح التمرد إذا أصبح الواقع فوضوياً بما يكفي، لأنّ الدولة حينها لن تستطيع الاستمرار بالصيغة نفسه.

ومن منظور شبّية التلال، فهم ليسوا إرهابيين ولا عصابة إجرامية، بل أصحاب رسالة إيمانية عميقة. وقد صرّح إيتنغر نفسه بعد اعتقاله، بالقول: "لا توجد أيّ خلية إرهابية، ولكن هناك بالفعل الكثير والكثير من اليهود، أكثر بكثير ممّا يظنون، ممّن يكون سلّم قيمهم مختلفاً تماماً عن ذلك الذي تتبناه المحكمة العليا أو الشاباك، والقوانين التي تلزمهم ليست قوانين الدولة... بل قوانين أكثر أبدية وحقيقية، منبعها ماء الحياة". يشرح هذا التصوّر كيف يبرّر هؤلاء أفعالهم. فهم يعتبرون أنفسهم خاضعين لقانون سماوي أبدي يعلو على قوانين الدولة الحديثة. وبالتالي، فإنّ أعمال العنف التي يرتكبونها ضدّ "أعداء الله"، سواء كانوا فلسطينيين أو "إسرائيليين" يعارضونهم، هي في نظرهم أعمال مشروعة، بل ومطلوبة دينياً. وفي كانون الأوّل/ ديسمبر 2011 كشف جهاز الشاباك عن خلية تضم مائير إيتنغر وآخرين جمعت معلومات سرّية عن تحرّكات جيش الاحتلال بغرض إحباط عمليات إخلاء البؤر الاستيطانية، فيما عُرف لاحقاً بـ"ملفّ الجواسيس". وقد تصرّف أفراد هذه الخلية كما لو أنّهم يواجهون جيشاً معادياً.¹¹

في ضوء الدعاية المضادّة، يسعى شبّية التلال إلى تحسين صورتهم والتواصل مع الجمهور "الإسرائيلي" مباشرة. ففي العام 2017، أطلقوا حملة دعائية عبر فيديوهات على فيسبوك بعنوان "فتية التلال، تعرّف إلينا عن قرب"، ظهر فيها نشطاء يشكون من أنّ الإعلام والسياسيين يقدّمونهم كشياطين وصوّروهم كمُسوخ ذوي قرون وذيول وروائح كريهة، ودعوا الجمهور إلى لقائهم والاستماع إلى وجهة نظرهم.¹² وأقرّ أحد المتحدثين في الفيديو بأنّ "لدينا أيضاً أصدقاء يقبعون في السجن بسبب هجمات تدفع الثمن"، قبل أن يمزح آخر قائلاً: "حاشا لله!" في تلميح ساخر. وقد عكست هذه الحملة وعي شبّية التلال بأهمية كسب شرعية شعبية أوسع، ومحاولة تقديم أنفسهم كـ "رؤاد" أصحاب قضية وليسوا مجرّد مخربين.

وبناء على هذه الرؤية ليس مستغرباً أنّ يستخدم شبّية التلال لغة تخوين شديدة ضدّ من يقف في وجههم من "الإسرائيليين". فقد وثّقت أحداث عديدة لقيامهم بسبّ جنود جيش الاحتلال وعتهم بالنازيين والخونة

خلال عمليات الإخلاء أو الاشتباك.¹³ إنَّهم يرون الجندي الذي ينفذ أوامر قيادته بإخلاء بؤرة استيطانية، مثلاً، خائناً لشعبه ودينه ويشبّهونه بالنازي. وهذه، بلا شك، مفارقة صادمة في المشهد "الإسرائيلي"، إذ إنَّ اتِّهام اليهودي بالنازية كان طوال الوقت من المحرّمات القيّمة "إسرائيلياً"، لكنّه بات جزءاً من قاموس الصراع الداخلي بين الدولة وهذه الجماعات.

يستمدُّ شبيبة التلال بعضاً من أفكارهم بوصفها خلاصةً لتجربتهم الشخصية التي تشكّلت عبر صدام مبكّر مع المؤسسة الرسمية. وفي هذا السياق، يرسم أريئيل شاليم في **يديعوت أحرّونوت** ملامح نموذجٍ من هذه الفئة باعتباره شاباً شهد انزهاراً عالمياً على يد جيش الاحتلال: أُخرج من منزله قسراً، ورأى والديه يبكيان وينهاران أمام الجنود والشرطة، وشاهد أفراد عائلته يُسحبون جسدياً إلى خارج البيت في إحدى المستوطنات، كما عاين، وفق الرواية نفسها، إحراق كنيس اعتادوا الصلاة فيه بعد إخلائه بلحظات على أيدي فلسطينيين وأمام عينيه. ثم تلقّى لاحقاً الهراوات والضرب خلال مواجهات الدفاع عن بؤرة استيطانية، مثل "عمونا" في العام 2006. ومن تراكم هذه التجربة، تبلورت لديه قناعة بأنَّ الجنود والشرطة حين يأتون، فإنّما يأتون ضده.¹⁴

وعلاوة على هذا البعد النفسي، هناك بعد نخبويّ تفاخريّ في نظرة شبيبة التلال لدورهم مقابل دور جيش الاحتلال. فكثيراً ما يروّج ناشطوهم لأنفسهم على أنّهم أكثر شجاعة وإقداماً من جنود جيش الاحتلال المقيّد. وقد قال الناشط الإشع يارد، في مقابلة إعلامية: "فتية التلال يقومون بأمر لن يفعله أيُّ جنديّ حتى في أكبر وحدات النخبة خلال خدمته."¹⁵ كذلك تساءل عوز يهودا، عمّاً إذا كان جيش الاحتلال يريده أصلاً في صفوفه، مشيراً إلى أنّ الأشخاص الذين يفكّرون بشكل مستقل بشيء، يخيف جيش الاحتلال كثيراً، وأنَّ معظم شباب التلال يحصلون على إعفاء من الخدمة بدعوى عدم الملاءمة. في الواقع، يعكس هذا كلّهُ نزعة استعلاء لدى شبيبة التلال تجاه جيش الاحتلال، فهم يعتبرون جنوده مقيّدين بالأوامر وبيروقراطية القيادة، بينما يتمتّعون هم بحرية القرار والمبادرة التي تمكّنهم من تنفيذ مهام جريئة يهابها الآخرون. وهكذا، يتعرّز في ذهنهم أنّهم القوة الطليعية الحقيقية لحماية "أرض إسرائيل" حتى لو صنّفتهم دولتهم كخارجين عن القانون في بعض الأحيان.

جيش الاحتلال: بين التغلغل والرّصد

هناك تداخل بنيوي في علاقة شبيبة التلال مع مؤسّسات الدولة الاستعمارية وخاصّة الجيش. وهو تداخل يوفّر لهم غطاءً وحماية غير مباشرة ويمنحهم نفوذاً عملياً يتجاوز حدود القانون. فقد كشفت أحداث متعدّدة خلال السنوات الماضية عن وجود حالات تعاطف أو تواطؤٍ ضمني من قبل بعض العسكريين مع اعتداءات المستوطنين المتطرّفين، بحيث بدا أنّ جزءاً من المنظومة الأمنية يتغاضى عن هذه الانتهاكات أو حتى يشارك فيها. في الضفة الغربية، يعتمد جيش الاحتلال "الإسرائيلي"، في بعض جوانب عمله، على وحدات تُعرف بـ"الحماية الإقليمية". وبحكم تموضعها في قلب بيئة فلسطينية كثيفة، يتداخل فيها حضور المستوطنين مع الحياة اليومية للفلسطينيين، وتحوّل هذه الوحدات إلى طرف مباشر في نقاط الاحتكاك المتكرّرة. وقد استغلّت العناصر

الاستيطانية المتطرّفة هذا الواقع لتعزيز نفوذها داخلها فصار بعض أفرادها جزءاً من نسيج شبّية التلال ذاته، لا يكتفون بغضّ الطرف عن الاعتداءات بل يشاركون فيها بدلاً من منعها.

في هذا السياق، تعرّزّ شهادات جنود "إسرائيليين" هذا الاستنتاج. فقد نقلت صحيفة **يديعوت أحرونوت** رواية جندي احتياط يُشار إليه بالحرف "أ"، خدم في منطقة جنوب جبل الخليل في سنة 2023، حيث أفاد قائلاً: "ما رأيته هو أنه في أفضل الأحوال لا يفعل الجيش شيئاً في مواجهة عنف المخزّبين اليهود، وفي أسوأ الأحوال يشارك بعض الجنود في هذا العنف." وقد وصف الجندي أنه شهد بأمّ عينيه اعتداءات شبه يومية ينفّذها مستوطنون ضدّ قرى فلسطينية، تضمّنت: تكسير أحواض سقاية المواشي، وتخريب المنازل والممتلكات، وتفجير خزانات المياه الشمسية، وقطع الأشجار وسرقة المحاصيل... وكلّ ذلك تحت أنظار جيش الاحتلال الذي لم يتدخّل. كما أشار الجندي إلى واقعة محدّدة سرق فيها أحد المستوطنين خروفاً من فلسطيني ونقله في شاحنة صغيرة أمام الجنود دون أن يحركوا ساكناً. وعندما سأل الجندي ومجموعته عن سبب هذا التقاعس، كان الجواب الضمني هو أنّ صلاحيّات جيش الاحتلال لا تشمل توقيف "الإسرائيليين" حاملّة بطاقة الهوية الزرقاء، وأنّ التعامل معهم من اختصاص الشرطة، إلّا أنّ الشرطة لم تحضر أيضاً، فبقي المستوطنون يتحرّكون بحريّة مطلقة وسط غياب الردع الكامل.¹⁶

ويضيف الجندي "أ" أنّ بعض المستوطنين الذين هاجموا القرى كانوا ملثّمين ويحملون بنادق من طراز M16، ما دلّه على أنّهم ليسوا شبّاناً مدنيين عاديين، بل جنود احتياط من وحدات "الدفاع الإقليمي" جاؤوا بأسلحتهم الرسمية للمشاركة في الاعتداءات.

ويضيف: "كانوا مثلنا تماماً، جنوداً بكل معنى الكلمة"، يتلقّون مقابل مادياً مقابل أيام خدمتهم الاحتياطية، لكنّهم يستغلّون وضعهم لتنفيذ أجنادتهم العقائدية. ويشير الجندي إلى أنّ قادة وحدته تفاوضوا عن الأمر كلياً، بل بدا في بعض المواقف أنّ القيادة الميدانية توفّر دعماً ضمّنياً لهؤلاء المستوطنين المسلّحين، إذ لم يجرؤ أحد من الضباط على اعتقالهم أو ردعهم، فباتت الكلمة العليا لهم في الميدان. يصف الجندي "أ" الوضع بأنّه ميليشيا مسلّحة بلا رقابة تعمل تحت غطاء الجيش ولكن خارج قوانينه. وحتى عندما أصدر قائد "المنطقة الوسطى" أمراً عسكرياً في العام 2023 يمنع تغطية وجوه المستوطنين في الضفة الغربية لتسهيل تعرّف الشرطة على المعتدين، أظهرت المقاطع المصوّرة أنّ الجنود لم يحاولوا تنفيذ هذا القرار، فبقي المثلثون بلا محاسبة.

ومع مرور الوقت، التحق عدد من شبّية التلال بصفوف جيش الاحتلال "الإسرائيلي"، بعضهم بدافع التأثير من الداخل وآخرون لأسباب مادية أو اجتماعية، لكن النتيجة واحدة، وهي وجود ضباط وجنود من شبّية التلال داخل المؤسسة العسكرية. ومن الأمثلة الدالّة على ذلك بروز نموذج لمستوطن من نشطاء شبّية التلال في مستوطنة "يتسهار" جنوبي نابلس، وهي من أبرز معاقلها، التحق بالجيش وتدرّج في الرتب حتى غدا ضابطاً وقائداً لوحدة الاستطلاع في لواء ناحال، قبل أن يُقتل خلال هجوم 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023.¹⁷ وتثير مثل هذه الحالات

مخاوف من تضارب الولاء في حال صدور أوامر بمواجهة مستوطنين متطرّفين أو إخلاء بؤر استيطانية. وقد شهدت "إسرائيل" في السابق حالات جنود متديّنين رفضوا تنفيذ أوامر لأسباب عقائدية، ما اضطرّ الجيش إلى فرض عقوبات تأديبية دون أن ينجح تماماً في القضاء على ظاهرة رفض الأوامر لدوافع أيديولوجية.

في ظل تنامي نفوذ التيار الديني القومي، أصبح وجود عناصر متشدّدة داخل المؤسسة العسكرية أمراً طبيعياً. ففي تموز/ يوليو 2025 بادر قائد لواء شمال الضفة الغربية في جيش الاحتلال "الإسرائيلي" إلى تنظيم برنامج تدريبيّ خاص لـ 34 شاباً من مستوطنات شمال الضفة، معظمهم من معازل شبيبة التلال كنسخة معدّلة من معسكرات التدريب الصيفية "الجدناع".¹⁸ وقد كان هدف البرنامج المعلن "تعزيز شعور الانتماء والمسؤولية الأمنية"، وتقريب هؤلاء الشبّان من جيش الاحتلال مع مراعاة نمط حياتهم الديني الصارم. أثارت تلك الخطوة جدلاً واسعاً داخل "إسرائيل"، إذ رأى البعض فيها محاولة لدمج المتطرّفين داخل إطار المؤسسة الرسمية، فيما اعتبرها آخرون ترضية خطيرة تمنحهم شرعية دون أن يتخلّوا عن أفكارهم.

وفي السياق نفسه، كان جيش الاحتلال قد أنشأ في سنة 2020 وحدة "سفر الصحراء" ضمن لواء الأغوار، وضمت في صفوفها عدداً من شبيبة التلال بموافقة الشاباك والشرطة. وقد تمّ تبرير التجنيد بالرغبة في الاستفادة من خبرتهم الميدانية ومعرفتهم الجغرافية، وكذلك لتأهيلهم داخل منظومة منضبطة.¹⁹ لكن سرعان ما ظهرت تداعيات سلبية لهذا الدمج، إذ ارتكب عناصر الوحدة انتهاكات بحق فلسطينيين، شملت الضرب المبرّح والإذلال والاعتقال التعسّفي. ووثقت منظمات حقوقية ما لا يقل عن إحدى عشرة حالة اعتداء بلغت ذروتها حين عُذّب ثلاثة فلسطينيين داخل حظيرة على أيدي جنود من الوحدة. أدّت الحادثة إلى استياء واسع وإلى تعليق نشاط الوحدة مؤقتاً أواخر العام 2023، وإعفاء قائدها من منصبه وتوبيخ عدد من الضباط في اعتراف ضمني بأنّ الانضباط العسكري فشل في احتواء التطرّف. وقد لخصّ أحد كبار الضباط الموقف بقوله إنّ "المتطرّف يظل متطرّفًا ولو ارتدى الزي العسكري"، في إشارة إلى أنّ الدمج دون إصلاح فكري يحوّل جيش الاحتلال إلى غطاء لأعمال العنف بدل أن يكون حاجزاً ضدّها.²⁰

ولا يقتصر التفاوض على المؤسسة العسكرية، بل يمتدّ إلى مستوى القرار السياسي إذ يجد شبيبة التلال اليوم دعماً غير مباشر من الحكومة. فمنذ تولي إيتمار بن غفير، أحد أبرز رموز التيار الاستيطاني وتلميذ الحاخام كاهانا، منصب وزير الأمن القومي في سنة 2022، تغيّر تعامل الدولة مع عنف المستوطنين. فقد عمل بن غفير جاهداً على إلغاء قرارات الاعتقال الإداري ضدّ شبيبة التلال، والتي كانت تتيح احتجاجهم دون محاكمة، كما قلّص تعاون وزارته مع الشاباك في ملفّات الإرهاب اليهودي بحجّة حماية حقوق المستوطنين.

خاتمة

تخلص هذه الإضاءة إلى أنّ شبيبة التلال لا يعملون فقط كفاعلين ميدانيّين ضمن فضاء الاستيطان، بل كقوة مبادرة

تعيد تشكيل إيقاع العنف ومعناه ووظيفته. فالعنف هنا ليس حادثاً جانبياً يرافق التوسُّع، بل أداة إنتاج للواقع تُستخدَم لتفكيك القدرة الفلسطينية على البقاء عبر الاستنزاف اليومي وتدمير مصادر العيش وترويع المجتمعات المحلية. ومع تراكم الأفعال، تتحوَّل الهجمات إلى لغة سياسية على الأرض، ترسم حدوداً جديدة للحركة والزراعة والرِّي وتُدفع نحو إزاحة تدريجية تجعل الاستيطان يتمدّد لا فقط بالبناء بل بتآكل المجال الفلسطيني من الداخل.

وفي الوقت نفسه تكشف هذه الإضاءة عن أنّ الاعتداء على الفلسطينيين لا يؤدِّي وظيفة استعمارية فقط، بل يتخذ أيضاً شكل رسالة موجّهة إلى المؤسسة العسكرية "الإسرائيلية" نفسها باعتباره أسلوب إخراج وضغط لفرض وقائع لا ترغب القيادات أحياناً في تحمُّل كلفتها علناً. فحين تُستثمر الهجمات كأداة ابتزاز غير مباشر وتُرفق بشعارات موجّهة إلى الضباط والقادة، يصبح الفلسطيني ساحة لتصفية الحسابات داخل المعسكر "الإسرائيلي" نفسه، وتغدو الحياة اليومية للفلسطينيين رهينة معادلة ضغط مزدوجة تتقاطع فيها مبادرات المستوطنين مع

أدوار القوة الرسمية للدولة الاستعمارية

الإحالات

[1] لديّ تحفُّظ على مفردة "فتية" نابغ من كونها قد تحمل، دلاليًا، نبرة تُخفّف من وطأة الأفعال أو توجي بدرجةٍ من عدم الوعي والمسؤولية، ولا سيّما حين تصوّر هذه الجماعات "إسرائيلياً" في بعض السياقات بوصفهم أطفالاً. وهو أمر يستدعي مراجعة المصطلح عند تداوله في الإعلام الفلسطيني، واستبداله بتسمية أدقّ دلالة وأكثر اتساقاً مع طبيعة الممارسة. لذلك، سأعتمد في هذه المساهمة لفظة "شبيبة" بدلاً من "فتية".

[2] أهود يتوم، "قيادة المستوطنين يجب أن تستفيق: المشاعبون يعرضوننا جميعاً للخطر"، معاريف، 7 تموز 2025، شوهد في 31 كانون الأول 2025.
<https://www.maariv.co.il/journalists/opinions/article-1212231>.

[3] أوري ميلشتاين، "الحاخام بنيامين مردخاي مينستر: ما هي حركة "شبيبة التلال" التي أسسها عام 1998 أريئيل شارون،" يوتيوب، 22 آذار 2024، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.youtube.com/watch?v=Tre7JWk6Cm8>.

[4] وليد حبّاس، "صورة سياسية واجتماعية.. من هم شبيبة التلال؟" **ألترافلسطين**، 6 تشرين الأول/أكتوبر 2025، شوهد في 31 كانون الأول 2025.
<https://linkshortcut.com/vbKUJ>.

[5] دانيلا فايس، ناشطة استيطانية من تيار اليمين الصهيوني الديني، وبرزت ضمن حركة "غوش إيمونيم" بوصفها من أبرز وجوه التوسُّع الاستيطاني في الضفة الغربية. تولّت رئاسة مجلس مستوطنة "كدوميم" في السنوات 1996 - 2007، ثم أسست سنة 2007 منظمة "تحالا" التي تعمل على إقامة البؤر والتوسع الاستيطاني.

[6] أرييه إلداد، "توقفوا عن القول فتية التلال - إنهم فتیان في خطر ويحتاجون إلى المساعدة"، معاريف، 5 تموز 2025، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.maariv.co.il/journalists/article-1211507>.

[7] يهوشع براينر، "المشتم به في تدفيع الثمن: ضحكت في وجه المحققين،" **والا**، 28 أيلول 2011، شوهد في 31 كانون الأول 2025.
<https://news.walla.co.il/item/1864493>.

[8] يتسحاق شاويرا، ويوسيف إلتسور، **شريعة الملك: شريعة قتل الأغيار**، ترجمة خالد سعيد ومحمود مندور (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط 1، 2011)، 284.

[9] إيتاي بلومنتال، "باسم الجد: هكذا خطَّ خطفُ الحاخام كاهانا لـ"التمرد" الذي سيسقط الحكم في إسرائيل"، *يديعوت أحرونوت*، 4 آب 2015، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4687158,00.html> .

[10] حاييم ليفنسون، "التمرد الكبير لشبيبة التلال ترك "تدفيع الثمن" والبؤر الاستيطانية بعيداً وراءه"، *هآرتس*، 7 آب 2015، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.haaretz.co.il/news/politics/2015-08-07/ty-article/.premium/0000017f-e5cb-d97e-a37f-f7efd2750000>.

[11] المصدر نفسه.

[12] "شبيبة التلال-التعرُّف عن قرب"، *يوتيوب*، 24 تشرين الأول 2017، شوهد في 31 ديسمبر 2025.

<https://www.youtube.com/watch?v=36OEjzvdM0g>.

[13] شارون كيدون، "أحداث "شبيبة التلال": هذا سيكلّف أرواحاً"، *بودكاست هكوتروت*، *يديعوت أحرونوت*، 1 تموز 2025، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.youtube.com/watch?v=t6n8Oh15BUM>.

[14] أريئيل شاليم، "من أنت يا شاب التلال؟" *يديعوت أحرونوت*، 15 كانون الأول 2011، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4161876,00.html>.

[15] جلعاد شلمور، "أنا صاحب البيت هنا: حياة شبيبة التلال - وطريقة تجنيد شبان إضافيين"، *ماكو/ القناة 12*، 12 آب 2021، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

https://www.mako.co.il/news-israel/2021_q3/Article-9c73cd8d9e73b71026.htm.

[16] عوديد شالوم، "خرج الوضع عن السيطرة، جنود يشاركون والجيش لا يفعل شيئاً: عنف شبيبة التلال في ذروتها"، *يديعوت أحرونوت*، 1 تشرين الثاني 2025، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.ynet.co.il/news/article/yokra14562652> .

[17] راحيل رازي سيلع، "شاب التلال الذي أصبح قائد سرية استطلاع لواء ناحال"، *هيئة البث "الإسرائيلي-كان"*، 27 كانون الأول 2023، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.kan.org.il/content/kan-news/newstv/p-11894/s1/663911/>

[18] عوزي باروخ، "في السامرة: نشاط الجنداع الذي ربط الشبيبة بالجيش الإسرائيلي"، *القناة 7*، 15 تموز 2025، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.inn.co.il/news/674092>.

[19] يوآف زايتون، "500 بندقية في 30 عملية إحباط: مع شبيبة التلال، ومثلي/ مجتمع الميم، ومقاتلات-هكذا يمنعون تهريب السلاح من الأردن"، *يديعوت أحرونوت*، 23 كانون الثاني 2023، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.ynet.co.il/news/article/rkewo7iii>.

[20] هاجر شراف، "الجيش الإسرائيلي يوقف النشاط العمليّاتي لوحدة "سفر همدبار" التي تُجنّد شبيبة التلال"، *هآرتس*، 18 كانون الأول 2023، شوهد في 31 كانون الأول 2025.

<https://www.haaretz.co.il/news/politics/2023-12-18/ty-article/0000018c-7e47-d219-a5bf-7fff0c950000?utm>.